مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

جدلية الشخصية العجائبية في رواية (تطريز بخيط اسود)

م. رشا قاسم فياض
جامعة ذي قار /كلية الزراعة والأهوار
rasha@utq.edu.iq

الملخص:

تعنى هذه الدراسة بالبحث عن تجليات الشخصية العجائبية في رواية تطريز بخيط اسود، التي تحفل بمزيج كبير من الدلالات يمتزج فيها الخيالي بالواقعي والحقيقي بالفانتازي.

اذ يسعى الروائي في نصه الى تجاوز المألوف وخرق قانون الطبيعة عن طريق الاحداث غير الطبيعية بطرق تمنح النص سرديته العجائبية، واستحضار شخصية المسخ الشخصية المحورية في القصة، وتتبع هذه الشخصية والتحولات التي تطرأ عليها.

لذا ستتم دراسة الشخصية العجائبية في الرواية من خلال البحث عن سمات الشخصية التي رافقت ظهورها، ومراحل تحولها إلى كائن آخر، والصراع بينها وبين الإنسان، الذي كشف لنا عن قصور نظرة الأخير وتخبطه والتماسه الحلول العقيمة في مواجهة الآخر .

Summary

This study about searchingfor the fictional manifestations of the orchid character in the novel embroidery with black thread. This novel is filled with a great mixture of connotations in which the imagination mixes with realism.

The novelist, in his text, seeks to transcend the ordinary and violate the law of nature and through strange events in ways that give the text its miraculous narration. In the story, the monster's personality was the central character where this character was tracked and the transformations on this character.

In this novel,the miraculous character was studied by looking for the traits of the character that accompanied its appearance, the stages of its transformation into another object, and the conflict between the character and the human being. The character reveals for us the latter's deficiency, floundering, and seeking evil solutions to face all that he believes to be his enemy.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

في مفهوم العجائبي:

ان رواية تطريز بخيط اسود تبنى على منظور خيالي محض، يتجاوز الواقع الى اللاواقع بطريقة عجائبية، تجعل من لغة الرواية بناءً فنياً متكاملاً على صعيد التوليد الدلالي، فالروائي يحاول في كتابة نصه السردي قلب معطيات الواقع والسرد ونمط الكتابة التقليدية، من خلال توظيف العجائبي الذي يمثل ((المظاهر الموجودة في النص الروائي التي تحاول التغلب على معطيات الواقع بطريقة غير منطقية)) (١)،ويتطلب ثلاثة شروط لتحققه في النص وفق رأي تودوروف: الاول يتعلق بالقارئ ، والثاني يرتبط بشخصية او شخصيات من النص، والثالث يتصل بمستويات التأويل، وهذه الشروط هي: ((ان يرغم النص قارئه على التردد بين مستويين من التفسير للأحداث، تفسير طبيعي وآخر فوق طبيعي، ثم ان يكون هذا التردد محسوساً من طرف شخصية في النص، اخيراً ينتهي القارئ الى موقف ازاء النص)). (٢)

لذا فان حضور العجائبي في الرواية ((مرتبط بتنوع الشخصيات والافعال المحدثة فلا يمكن وجود هذا النوع الا بحضور شخوص اخرى واقعية تحتك بها)). (٣).

وعليه نسعى في بحثنا الى الوقوف على معمارية الكتابة العجائبية القائمة على تطويع الفانتازي والغرائبي ، من خلال تسليط الضوء على عجائبية الشخصية والاحداث.

الشخصية العجائبية:

تشغل الشخصية المحور الذي تدور حوله احداث الرواية، اذ تعد من اهم الركائز الفنية المؤسسة لبناء النص الروائي، كما تعد (من اهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات الاخرى)(٤).

كما ربطت رواية (تطريز بخيط اسود) بين الشخصية والحدث فكل تغير يطرأ على حياة الشخصية ، يرافقه تطور في احداث الرواية ، (كما ان تطور احداث الرواية يؤدي الى تطور مواقف الشخصية) (٥)، فهذا العنصر الروائي المهم، لا يمكن دراسة النص الروائي من دون الوقوف والمرور عليه.

لذا ستتم دراسة العجائبية في الرواية من خلال البحث عن سمات الشخصية التي رافقت ظهورها، ومراحل تحولها الى كائن اخر، فالعنوان الروائي يجعلنا نقف على اهم سمات الشخصية، من خلال تتبع حركتها داخل المتن السردي، ومدى فاعليتها في الحدث الروائي، فشخوص الرواية عتبة دلالية تحدد هوية النص بوصفها ، قوة مولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها.

نبدأ مع (حامل القرون) بطل الرواية والشخصية المحورية، التي استقطبت اهم الاحداث في الرواية وساعد وجودها على بروز باقي الشخصيات ، فهي شخصية ذات حضور مميز وفعال داخل الرواية، (تنفرد عن باقي الشخصيات بسمات خاصة تجعلها تتميز وتبرز بطابع خاص،اذ يبث الكاتب عبرها رؤيته الخاصة) (٦) كونها انفردت بتغيرات فانتازية عجيبة جعلتها المحور الاساس في النص.

يطالعنا الظهور الاول لشخصية (حامل القرون) عندما يقوم عمال المطعم بالهجوم على السحليات، برش المبيد الكيمياوي لعمل ابادة جماعية لها،اذ تمكن وقتها حامل القرون من الهروب من ساحة الهلاك والابادة الجماعية ((ذلك الذكر الفحل، الصحراوي الاصيل، الذي جبل على مواجهة الجفاف القاسي وندرة الزاد الزاد بجلد وصبر، وصلابة مخلوق لا يفسح الطريق لانقراضه مهما قست الظروف عليه وتكالبت المحن. كان يحمل على جانبي رأسه زائدتين لاحتا مثل قرنين أبهرتا الجميع بروعتهما، ولأجل ذلك كان يمس دلالاً، ويهز رأسه مختالاً)). (٧)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

تتم الصفات الداخلية عن صلابة وشجاعة شخصية حامل القرون في مواجهة الصعاب والظروف القاسية، كما بينت سماته الخارجية تميزه وتفرده عن غيره من السحليات ((كان في غرة الشباب وسيماً، وقوياً، وطموحاً)) (٨).

لطالما حلم حامل القرون بحياة مليئة بالمغامرات ، اذ كان يتحرك بلا خوف او وجل ،قدم من الصحراء وحياة البداوة، ونجح في غضون ايام قليلة من ((ان يصبح حضرياً ويعيش مع السحليات الاخرى في وئام في هذا المكان المأهول)) (٩).

الا ان الاخير تعرض لثلاث رشات متتالية من المبيد الكيمياوي سريع المفعول ((طالت جسده تماماً من الرأس الى الذنب، ولكنه واجه الاختناق بصلابة جأشه، فأطلق صرخة عميقة كأنها انبثقت من بئر سحيق، وانتفض جسده بأكمله وانطلق كالسهم هارباً بعيداً عن المصباح. فطن الرجل الى الجهة التي تروم تلك السحلية اللجوء اليها... لذلك سبقه اليها وراح يمطرها بسيل من مبيده، فتوقف (حامل القرون) حائراً، وقد ضاقت به الحيل، كما ضاعت من حوله نسائم الهواء. كان اشبه بحيوان شارد راح يشعر بأنه وقع في الفخ اخيراً... هطل عليه سيل المبيد ليغمره كرة أخرى فأدرك أنه ميت لا محال)) (١٠).

كانت هذه الرشقات المتتالية من المبيد الكيمياوي، اول علامة من علامات التحول العجائبي لـ(حامل القرون)، اذ ان رغبة الروائي في اضفاء البعد العجائبي على نصه ، جعله يلجأ الى ما يعرف بأنسنة الحيوانات لتكون رمزاً وقناعاً لحقائق النفس البشرية، التي طالما لحقت السحليات بالأذى واضمرت لها الحقد والكره الشديد، اما السحالي فقد قابلت هذا الأذى والكره، بالحب والود والألفة للإنسان، اذ كانت لا يحلو لها العيش الا بالقرب من الانسان، اذ تقول إحدى السحليات (كريمة) وهي متشبثة بالجدار تبكي بحرقة على من مات من ابنائهم جراء رشق المبيد الكيمياوي: ((عجيب أمر الانسان هذا، انه لم يسفر عن ذرة حب أو عطف لنا في اي يوم من الأيام، وعلى عكسه تماماً نحن نحبه... ووجوده يثير اعجابنا، ها نحن نسترخي على الجدران نراقبه بارتياح)) (١١).

يجسد النص السابق صراعا لإرادتين خالدتين هما (الخير والشر) اذ كشف هذا الصراع عن قصور نظرة الإنسان وتخبطه وضعف بصيرته والتماسه الحلول العقيمة في مواجهة ما يعتقد انه عدو له، وفي الوقت نفسه يبدو حضور السحلية في قمة الألفة والود فهي تحمل مشاعر الحب كما البشر، وتنتقد بشدة كره البشر وإيذائهم المستمر لها، وكثيراً ما تبدي هذه المخلوقات انزعاجها وامتعاضها الدائم من الانسان المتكبر على حد وصفها له،اذ تصفه في احيان كثيرة بالبشاعة والغطرسة اذ تقول احد السحالي: ((ان الانسان يجعل حياتنا ذليلة وما من مخلوق يحب ان يحيا ذليلاً... اذا كان الانسان سيداً فهو سيد نفسه وحسب، هل تتخيل ما الذي يمكن ان تفعله المخلوقات الاخرى لو اتحدت ضده... بالتأكيد اذا تسيد العالم اي من المخلوقات الاخرى فسوف ينتهي المطاف بالبشر الى ما آل اليه مصيرنا... هل خيل لهم انهم يبيدوننا ويمسحون ذكرنا من صفحة الوجود بأفعالهم العنجهية وغطرستهم الغبية؟)) (١٢).

ان علامات التحول العجائبي تبدأ بالظهور رويداً رويداً، وهذا التحول شكل ثيمة بارزة اثرت الحدث الروائي بالحس السحري، الذي يتقوى ويتعاظم من خلال التحول الخيالي للسحلية ، يقول الراوي: ((احس بأكمل جسده قد انتفخ كما ينتفخ العجين،وبدأ يملأ حفرة الوجار حتى ضاقت به، ولم يعد المجال كافياً ليسمح له برفع رأسه لم يكن هذا الانتفاخ هوائياً بل كان تضخماً حقيقياً في حجم جسمه)) (١٣).

في الواقع ليس من الممكن ان يصادف أياً من الحيوانات مثل هكذا تحول مثير للدهشة والغرابة، وهذا التحول العجائبي هو الذي ينقل الرواية من المألوف الى اللا مألوف ، عندما يصف الراوي (حامل القرون) بأوصاف غريبه اذ يتعدى في حجمه وملامحه صورة السحليات الطبيعية المقبولة عقلياً،((فتح عينيه على

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

وسعهما ، ليجد انه قد استطال الى حد يصعب تصديقه، وتيقن من أن نصفه الامامي أصبح خارج الوجار بأكمله، بينما امتد نصفه السفلي ليشغل الوجار حتى آخره)) (١٤).

الراوي في النص السابق ينقل القارئ الى عوالم جديدة لا تخضع لأية قوانين أو قواعد طبيعية، اذ لم يكتفي باستحضار العناصر الخارقة فوق الطبيعية، بل لجأ الى مخيلته لاستكمال الصورة العجيبة لها، فالسحلية في سياق الوصف العجائبي تتخذ ابعاداً مكانية تفوق كل التصورات والتوقعات، كما (تنهض بدور يتطلب الحركة والتغيير، اذ تؤثر في الحوادث وتتأثر بها ولا تبقى على وتيرة واحدة)(١٥).

يتجسد الخطاب العجائبي في الرواية من خلال عنصر التناقض بين طبيعة الشخصية الحيوانية والشخصية الانسانية، فالسارد يضاعف من دهشة المتلقي وتعجبه، عندما يصف التغيرات التي اطالت جسد (حامل القرون)وهدفه من ذلك ، هو احداث الاحساس بالغرابة والدهشة لدى المتلقي، اذ يقول: ((بشيء من التوجع جر قائمتيه الاماميتين من تحت جسده الثقيل، وهو يحس بأنه قد بات أكثر وزناً من السابق، وألقى بهما امام انظاره. وعندما فعل ذلك دوت منه صرخة رعب هائلة، اذ لم تكن قائمتاه قائمتي سحلية بل كانتا يدي انسان... يدين حقيقيتين بكل ما فيهما من زندين وساعدين وكفين واصابع وحتى الاظافر الحديثة التكوين برشاقتها البشرية الباهرة)) (١٦).

لم يتدارك حامل القرون صدمته العصيبة بتحوله الى كائن آخر لذا اخذ ينظر الى جسده مرة تلو الاخرى، مندهشاً من هذا التحول المفاجئ في هيئته الجسدية، اذ ان وجود الشخصية العجائبية يقتضي وجود احداث فوق الطبيعية، وهذا ما يعطي للرواية ابعاداً عجائبية، تعمل على ((تفجير الحدث واعطائه تأويلات متعددة ومتباينة تصب في شرايين تضفي على الحكي مميزات نوعية)) (١٧).

ولأن الروائي يسعى الى تجاوز المألوف عن طريق الاحداث غير الطبيعية، بطرق تمنح النص سرديته العجائبية، لذا استعان الروائي، بشخوص واحداث تشترك وتتناسب لتصنع حكاية خارقة لقانون الطبيعة والواقع، كون المسخ هو اكثر الموضوعات شيوعاً في المتون الروائية ذات الابعاد العجائبية، فتحول الحيوان الى انسان ، احدث خرقاً واضحاً لحدود المنطق والواقع، فلا يوجد توازن وتساوي بين الانسان والحيوان، اذا لعب المسخ دوراً بارزاً في خلق العجيب الذي يتجاوز حدود العقل والمنطق البشري، من خلال التحول الذي طاله ونقله من هيئة الى اخرى مخالفة لسابقتها تماماً.

ومن هنا فان التحول لم يكن عجائبياً للقارئ فقط، وانما كان عجائبياً لحامل القرون ذاته اذ واجه الاخير هذه الحقيقة بكثير من الشك والارتياب، حتى خيل له انه في عالم الرؤيا لذلك يحدث نفسه قائلاً : ((انا كنت نائما واحلم ولكنني استيقظت وما زلت احلم ايضاً، يا لبشاعة الاحلام... ولكن مهلاً.. مهلاً .. هكذا حدث نفسه في جزع، اي حلم هذا؟.. ها انه يقف على الارض بقدمين حافيتين وهو يشعر بلذع حرارة الارض لهما، والهواء الساخن يصفع وجهه ويلاعب شعر رأسه، وها هو ظله يمتد الى جانبه مرتعشاً من فرط الخوف، اليس ذلك دليلاً على يقظته، ام ان ذلك ليس بكافٍ؟... غض بصره وانهمرت دموعه وادرك انه خسر حياته)) (١٨)

لقد شكل حامل القرون رمزية متحولة بين ثنائية الامل والاحباط، في مسارين الاول : الامل في النجاة من قاتليه ومقيدي حريته من البشر الذين كانوا يقطنون المطعم عندما كان سحلية ،

والثاني: يكمن في تحول السحلية الى شخصية بشرية يتنازعها قهر الانسجام والتشيؤ، وثقل الاقصاء الذي يلاقيه اثر هذا التحول المفاجئ ، واصطدامه بعالم البشر القاسي الذي لم يلقى منهم لا رحمة ولا مودة ،

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

سوى عتمة النفوس ، التي يسقي ظلامها ويغذيها من كرهه لكل مخلوق غريب قد يؤثر على حياتهم، لذا البس الروائي شخصية (حامل القرون) صفة التسويف والضياع في رؤيته للواقع الانساني المرير.

((ظل يراود المطعم من دون ان يلجه... بدأ يتطلع الى حب كل الاشياء من حوله واحراز صداقتها ومودتها. وبالطبع كان متردداً لايعلم بحقيقة أمرها وكنهها، لا سيما اولئك البشر الذين وجد انه يشبههم شبهاً مطابقاً كل التطابق. يوماً بعد يوم اصبحت سجاياه اقرب من سجايا البشر)) (١٩).

بعد هذا التحول المثير تظهر الشخصية مندفعة بميول وافكار تتماهى مع واقعها الجديد، الا انها لا تمتلك الخبرة الحياتية الكافية ، للتأقلم مع الواقع البشري، فهي من فصيلة الحيوان وتكوينها النفسي والبيولوجي لا يتلاءم مع الحياة البشرية المعقدة. لكن حامل القرون كان تواقاً الى مخالطتهم، والتحدث معهم وزج نفسه في عالمهم المثير، اذ كان يود ان يطلب منهم ان يغمروا جسده بمثل هذه الاوعية التي يرتدونها، ويسترون بها عريهم فـ((مظهرهم يوحي بالجمال واللطف حقاً، ليست السحليات وحدها جميلة ، جميلة ومؤنسة، يطيب العيش للمخلوق برفقتها من دون ملل، فهؤلاء البشر يلوحون مؤنسين... ان اجمل ما فيهم تلك الضحكات التي تنطلق كل ساعة وتشعرك بأنهم ما انفكوا يولدون من جديد كل برهة من الزمن)) (٢٠).

ان حضور (حامل القرون) في هذا المكان النائي وفي وسط هذه الاجواء، شكل ايقونة فاعلة في بث الرعب لكل العاملين في المطعم، وهذا الخوف والتردد في قبول (حامل القرون) متأتي من عجائبيتها التي تنطلق في الاساس من التحول المفاجئ، من الشخصية الحيوانية الى الشخصية البشرية، ووجودها وسط اجواء فوق الطبيعية واصطدامها بالكائنات البشرية، اذ يقول الراوي: ((شاهد العامل هذا الشيء الغريب... شاهد هذا العراء الممسوخ وسقطت نظرته المشوشة عليه مثلما تسقط قطرة ماء بارد في وعاء ساخن،... ثم دوت صرخة الألم مندفقة من لب حشاشته وتراجع خطوة واحدة لا غير، ومن ثم اطلق اقدامه للريح منهزماً مرعوباً صوب قاعة المطعم. كان مكفهر الوجه، وقد تشنج كل ما في جسده، ولم يعد لسانه قادراً على نطق شيء)) (٢١).

هذه الصورة العجائبية الخارقة المتلبسة بمظاهر الخوف والغموض والدهشة، من هيئة المخلوق المخيف، جعل (حامل القرون) عنصراً مكانياً مرعباً، يسيطر على المكان برمته، فهذا التحول الذي طال الاخير انعكس سلباً على الانسان والمكان معاً، فقد امتنع عمال المطعم عن الخروج ، بسبب الرؤى الشيطانية التي فاجأت صاحبهم في وضح النهار فأرعبته، واصابته بالذهول اذ ((احاط به اصحابه كما لو انه اصيب بمس من الجنون... غمس احدهم كفه في الماء واخذ يمسح على وجهه فيما امسك به اثنان من اقرانه وجعلاه يلتقط انفاسه على مهل ويفركان يديه المرتعشتين وصدره بلطف... تحت ضغط اسئلتهم اللحوحة استطاع فقط من رفع سبابة يده واشار بها صوب باب المطعم، فتقدم العمال من الباب وهم يقودونه برفقتهم بكل ما كان ينضح به من رعب وهلع... تجمدت عيونهم حين نظروا الى المكان الذي اشارت نحوه السبابة... في الحال احسوا بثقل زجاج العين وثقل الصورة المروعة التي انطبعت عليه)) (٢٢).

يبدو حضور الشخصية في غاية الغموض والضبابية، والذي مرده هيئتها الغريبة والمخيفة ، فضلاً عن تواجدها في هذا المكان النائي، مما جعلها اقرب الى الشياطين والجن منه الى البشر ، وهذه الثيمة تعد من ابرز وظائف العجائبي، ومن امتن خصائصه اذ يقول احد عمال المطعم (الاصلع البدين) في وصف هذا المخلوق الغريب:

((هل رأيته ؟))

((انه قزم))

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

((له ذنب قصير))
((له قرنان في أم رأسه))
((هل رأيته؟))
((انه جني من الجن بكل تأكيد))
وكرر عامل الشاي قوله بتأكيد راسخ:
((نعم جني، هذا واضح ولا يقبل النقاش)) (٢٣).

في النص السابق يمتزج العجيب بالغريب،عجيب لأنه مثير للدهشة والانبهار، الذي يفوق حدود العقل، وغريب لأنه يحمل في نفس الوقت مدركات وحقائق متعارف عليها تعطل امكانية التصديق بها، فمن الملاحظ انه تم التلاعب بصفات الحيوانات، بغية اشاعة اللبس فكيف لسحلية ان تصبح بحجم انسان؟ وهل يعقل ان تتحول السحلية الى انسان؟!! كل هذه التحولات تجعل (حامل القرون) كائن عجائبي فوق الطبيعي لا يمكن تقبله.

ان النصوص السابقة اكدت عجائبية (حامل القرون) لأن ((العجائبي يكون في حدوث احداث ووقائع غير طبيعية تنتهي بتفسير فوق طبيعي)) (٢٤) فسحرية حضوره، وهيئته المرعبة تدفع درجات الرفض وعدم التقبل لدى المتلقي الى اقصاها لأنه يخترق قدراته العقلية، ويفوق تصوراته المنطقية، اذ يقول الراوي ((بقاؤه طول ذلك الوقت في المستنقع كفيلاً بأن يفسد عملهم...اخذتهم رعدة الخوف... وحينما ازف موعد النوم تجمعوا في غرفة واحدة وناموا معاً وهم متسلحون بكل ما تطاله ايديهم. ان ظهور جني لأول مرة في هذا المكان لهو نذير شؤم بما لا يقبل الشك...
((يقولون ان الجني بعين واحدة، وهذا له عينان مثل البشر؟))
((اي عينان؟ انهما غائرتان بين لفيف من الغضون والتجاعيد حتى لتبدوان شبيهتان بعيني فيل مسن))
((لكنه قزم والجن جميعهم اقزام)) (٢٥).

ان الحوار الدائر بين عمال المطعم، حول عجائبية وغرائبية هذا المخلوق الدخيل ، جعل منه لغزاً محيراً يسيطر على المكان برمته، اذ يضفي وجوده المريب على نفوسهم، مزيداً من التردد والرعب والهواجس ، كما ان تحول حامل القرون يتداخل فيه الطبيعي، وفوق الطبيعي، اذ جاءت الشخصية اشبه بخليط من التكوين الانسي والتكوين الحيواني، لذا نلحظ ايضاً تردد الشخصيات الاخرى، في قبول واقعيتها وشكوكهم في فهم طبيعة جنس هذه الشخصية المريبة، وكما يرى تودوروف انه (يضع المتلقي في لحظة زئبقية يتأرجح فيها بين الشك والحيرة اللذان يمثلان جوهر العجائبي وصميم تكوينه) (٢٦) اذ يقول احد عمال المطعم وهو يصف طبيعة الشخصية العجائبية: ((كان منظره عجيباً بحق، ولم يصادف ان وقعت عين احد على ما يشبهه في يوم من الأيام)) (٢٧).

ثمة حضور آخر لشخصية (حامل القرون)، يشترك مع سابقه في خاصية الارعاب والغرابة وان كان يختلف عنه في مقدار الرعب والتخويف، عندما تستعيد السحلية طبيعتها الحيوانية بالهيئة البشرية، مثيرة بذلك رعب باقي السحليات وخوفها، عندما شاهدته االسحليات للوهلة الاولى في وسط مكب النفايات، وهي تلتهم الطعام بشغف كبير اذ ((اخذت السحليات تجتمع ببطء وحذر واحاطت بـ(كريمة) ... وهي ترنو باستغراب الى ذلك الكائن المجهول، وبعث فيها مشهده هلعاً بالغاً. كان ذلك الشيء العجيب يقف اسفل شجرة الطرفاء يلتهم الطعام في منتهى الجوع ودونما تمييز... كان ظهوره المفاجئ هذا اشبه باللغز. ظلت السحليات تراقبه بعيون ملؤها الخوف... ان ظهوره على هذه الصورة التي لم يعهدها احد وضعها في

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

دوامة عاصفة من الشك والحيرة... ها هو المخلوق ينظر في تلك اللحظات صوبها بعينين آدميتين، مترعتين بالبراءة)) (٢٨).

في الوقت الذي اصبح فيه حامل القرون مخلوقاً عجيباً بالنسبة لنفسه وللبشر، اصبح عجيباً ايضاً بالنسبة للسحليات، فها هي تقف مذهولة من غرابة ما تراه، فلم يكن بالأمر اليسير تمييز هذا المخلوق الغريب والتعرف عليه بسهولة، وبعد مراقبة هذا الكائن الغريب بدقة، صاح حكيم كبير السحليات وقائدها بأعلى صوته:

((انه حامل القرون، نعم حامل القرون، هذا المخلوق المتحول لا يمكن ان يكون الا حامل القرون))

قالها بمزيج من الخوف والانشراح..

قالها بمزيج من التوجس والامل..

((انظروا، انظروا، هذا ما آل اليه امره)) (٢٩).

لم يتقبل جمع السحليات هذا التحول او المسخ الذي اصاب (حامل القرون) لذلك اجتاحها خوف رهيب، وذهول شديد من مغبة ان يكون مصيرها هو ذات المصير، الذي طال حامل القرون.

ثمة جانب خيالي آخر يظهر في الرواية، يجعلها تضع قدماً راكزة في العجائبية من خلال اضفاء صفات انسانية على كائنات غير بشرية، كالحب والكراهية واثارة الفتن والمشاكل ونقل الاسرار، التي تتراءى في ظروف غير واقعية، تجسدها ايحاءات سحرية وعجائبية، فـ(كريمة) شخصية حيوانية تفكر وتتأمل ،وتثير الفتن، وتفشي الاسرار، هذه الصفات البشرية ساعدت على ابراز الطابع العجائبي، في شخصية كريمة التي لا تنطبق على الحيوانات، وهذا ما جسده النص الاتي: ((كانت كريمة سحلية كبيرة السن... وكانت ثرثارة كذلك، تعشق القيل والقال ولأجل ذلك نعتها جميع اصدقائها باسم(كريمة القلقالية)... كانت تدور حول بيوت السحليات... بغية اقتناص بعض الاسرار المثيرة.. الاسرار الشخصية التي يتجنبها الاخرون عادة كانت كريمة تشتري كل تلك الاخبار والاسرار شراء مكلفاً من اجل ان تعاود بثها من جديد)) (٣٠).

اما شخصية (حكيم) كبير السحليات وقائدها، فهي شخصية تتسم بالحكمة والاناة التي نلمسها من خلال تصرفات الشخصية ازاء الاحداث، كالنصح والوعظ الذي تقدمه للشخصيات الاخرى، فهي شخصية مطبوعة على حب الخير للآخرين، كما يقول الراوي: ((طالما شغل فكر حكيم، الذي كان يجاوره في السكن، ولم يبخل عليه بالنصح والوعظ الصادقين من اجل ان يجده بين احضان زوجة صالحة اسوة بالذكور الاخرين)) (٣١).

لا يوجد في النص ما يدل على احداث خارقة او عجيبة خارجة عن المألوف والمنطق، سوى سمات شخصية حكيم، التي ظهرت من خلال تصرفات الشخصية ومن خلال رؤيتها للأشياء وتقييمها لها. لكن العجيب في النص ان هذه السمات اطلقت على كائن غير بشري، فالحكمة واستبصار الامور من قبل الحيوانات هي سمات كافية لوسمها بالعجب.

بعد الرواية التي يلقيها العمال، على مسامع مالك المطعم عن (حامل القرون)، يصبح وجود هذا المخلوق الغريب، عامل خطر يهدد المكان برمته، يحتم عليهم التخلص منه بأسرع وقت، لذا يقوم سلطان بإحضار حكيم معروف بتصريف امور الجن وتدبيرها، حدثهم بإفاضة عن الجن وحركاتهم والفرق بين الصالح منهم والشرير ((جلس الخبير الى مائدة صغيرة ازاء النافذة... وما ان ازف الموعد حملت النفايات والقي بها في المكب... سرعان ما انشقت النباتات عن وجه القزم، الذي يمشي خبباً الى طعامه متضوراً من الجوع كعادته... حدق الخبير ملياً، ثم تبسم والتفت يخاطب (سلطان):

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

((هذا المخلوق ليس جنياً))
((كيف يمكننا التأكد؟))
((بل هو مخلوق مسالم تبدو عليه الالفة))
((شاهدوا كيف تغمره السكينة والوداعة))
...
((ليس هذا الكائن سوى انسياً ولا علاقة له بالجن)) (٣٢).

بعد تطمين الحكيم لهم بأنه انسي ووجوده لا يشكل خطراً عليهم، ظل عمال المطعم مترددين وخائفين، كأنهم يحملون اوزاره على ظهورهم وقلوبهم ، فشغل تفكيرهم وكأنه وباء يهدد وجودهم، فلاح لهم حامل القرون ((اشبه بمن يشغل حفرة ما في داخل ادمغتهم، وشوش عليهم حياتهم، وافقدهم صوابهم. وسرعان ما كبر الامر وتضخم، اذ بات القزم يشغل في تصورهم، كل فضاء المطعم المحيط، واخذ يغلق في وجوههم الآفاق)) (٣٣).

لذلك قرروا التخلص منه وبأسرع وقت، وخصوصاً بعد افتضاح امره امام انظار عدد من زبائن المطعم، الامر الذي اثار غضب سلطان وجعله يفقد صبره، فنصب له فخاً من خلال رمي النفايات في المستنقع، لاستدراجه الى الفخ ومن هناك ((ثبت سلطان ماسورة بندقيته جيداً واطلق خرطوشة مزقت الصمت بجرح بليغ. افزعت الاطلاقة كل شيء... اخترقت بعض تلك الكرات جسد (حامل القرون) الذي اهتز فجأة وقفز من مكانه كأنه ضوء ازرق ارتعش في الريح. ثم وقف ينظر صوب سلطان في ذهول يفوق الوصف. كان ينظر اليه بعينين صافيتين ونظيفتين... تناول سلطان خرطوشة ثانية وعبأها ثم سدد نحو الصدر العاري ومزقه سريعاً برمية دقيقة... ندت صرخة مخنوقة واهنة من حامل القرون صرخة انطلقت من اعماق المستنقع وتلوى كنبتة عصفت بها الريح... سقط في منتهى الادب والكياسة ومات كما يموت الشيخ الجليل)) (٣٤).

ان هذا الانتهاك الصارخ والعنف الديستوبي السافر سلط الضوء على التشوه القيمي الذي طال اخلاق مالك المطعم، وعماله، الذي ان دل على شيء انما يدل على فساد طباعهم، وقسوة قلوبهم التي ملأت حقداً ، وكرهاً لهذا المخلوق الاعزل، الا ان هذه الحملة التي شنت ضد السحالي، اثارت حفيظتها تجاه الانسان، الذي لا يكف ولا يتورع، عن الحاق الاذى والاجحاف بحق هذه المخلوقات الضعيفة.

بعد قتل (حامل القرون) المخلوق الدخيل الاعزل، تلاشت مخاوف سلطان وعمال المطعم، وراحت وساوسهم واوهامهم تتبدد سريعاً، فقد اطمأنوا لعدم ظهوره مرة اخرى، اذ نجح (سلطان) في ابادة المخلوق الغريب، وتغييب شبح صورته عن عالمهم بأسره، ودفن سره لشهور عديدة في صدور العمال، الا ان السر لم يعد مخفياً بعد معرفة زوجات العمال بقصة حامل القرون، التي تسربت في الخفاء فما ((كدن يسمعن بتفاصيل تلك الحكاية حتى راحت تتفق اذهانهن بدهاء. كن يعلمن علم اليقين بأن رفات الجن المدفون يمكن ان يصير سحراً اسود فتاك لا يضارعه اي سحر... واثر سماعهن لحكاية (حامل القرون) رحن يشعرن بكثير من الاطمئنان والانشراح بأن رفات الجن النادرة باتت تحت ايديهن كن يطمحن بشيء قليل من رفات(حامل القرون) لأغراض سحرهن ومكرهن)) (٣٥).

ان استخدام رفات حامل القرون كوسيلة في اعمال السحر، اضفت على النص نوع من الغرابة والدهشة، التي اسهمت في تلوين احداث الرواية بالعجيب، اذ تكمن اثارة العجائبية في النص مرة اخرى، من خلال فكرة اللعنة التي تحل بكل شخص، يدس له جزء من رفات (حامل القرون) مع الطعام، اذ ((دار الكثير من اللغط حول ذرات الرفات وقيل عنها حكايات رهيبة، ولكن في مجملها كانت تؤكد بأن من تدس

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

له تلك الذرات في شرابه او في مأكله سرعان ما تطرأ عليه تغيرات عجيبة، ولم يعد احد يراه ثانية. وفي دعاية مثيرة للجدل قالوا ان مخلباً واحداً من مخالبه يكفي للقضاء على جيش بأكمله)) (٣٦).

يزخر النص المتقدم بالدلالات الفانتازية التي تفوق الخيال، مما يدفع المتلقي الى رفضها وعدم تقبلها، كونها تخترق قدراته العقلية وتفوقها، لكن السحر يأتي كمبرر قوي، يدفع العقل الى التصديق، وخاصة ان المتلقي (العربي) يعيش في مجتمع يؤمن بالشعوذة والسحر، لذا فالعجائبي فيها يرتبط بالحالة النفسية، التي تصيب الانسان عندما يصادف شيئاً غير مألوف، فهو يستقطب كل ما يثير الدهشة والحيرة التي ((تنتابه عند سماعه كلاماً يختلف عن الكلام الذي اعتاد سماعه، او رؤية شيء لم يكن قد اعتاد رؤيته من قبل ، او تغيير الواقع بواقع اخر يختلف عنه بعض الاختلاف)) (٣٧). اذ يذكر بعض من له دراية بشؤون السحر انه ((حالما يمتزج شيء من الرفات مع دم الانسان ترتفع حرارة جسده وتصيبه حمى لا تطاق، ويصطبغ جلده بلون ازرق، ويعجز عن الحركة،... وسرعان ما يأخذ جلده بالتيبس والانشقاق لينسلخ في النهاية، وتخرج منه سحلية كبيرة)) (٣٨).

من الملاحظ ان اهمية هذه الوسيلة لا تكمن في قدراتها الخارقة والعجيبة فقط، بل انها كانت سبباً في تحول حامل القرون، الى لعنة تحيق بكل من يوضع له السحر، وهذا الاخير لم يكن يتم الا من خلال وضع جزء من رفات حامل القرون ، في مأكل او مشرب الشخص المراد سحره..

رؤية في خاتمة:

يمكن ايجاز ابرز النتائج التي خلصت اليها الدراسة فيما يأتي:

١- ان العجائبي في رواية تطريز بخيط اسود لم يقتصر وجوده على التوظيف النسبي بل شكل بنية كلية، احتضنت باقي مكونات السرد .
٢- شكلت ظاهرة خرق المنطق والقوانين الطبيعية، معلما بارزا في الرواية لا يمكن تجاهله. اذ عمد الروائي الى استحضار الواقع المتخيل وابتعد عن الواقع المألوف.
٣- ثمة نوع من الازدواجية يحكم ظهور (حامل القرون) في الرواية اذ تتراوح تجلياتها وصورها بين ظهور حيواني وهو الشائع والمتداول، وظهور بشري خيالي.
٤- في جميع الصور المتعددة لظهور شخصية (حامل القرون) كان العنصر العجائبي الخارق هو المسيطر عليها جميعا.

الهوامش والاحالات:

١- الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان قراءة في روايات رجاء عالم، احمد جاسم الحسين، ص٢٢.
٢- النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصرة، نضال الصالح، ص٢٥.
٣- هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، شعيب حليفي، ص ١٩٨.
٤- ينظر: فن القصة، محمد يوسف نجم، ص ١١٧.
٥- ينظر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨، عبد المحسن طه بدر، ص٩٨. وينظر : بناء الشخصية في رواية نجمة اغسطس، خليل بروييني ، ص٥٢.
٦- الرواية: ص٢١.
٧- الرواية: ص٢٢.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

٨- م. نفسه: ٢٣.
٩- م. نفسه: ٢٥.
١٠-م. نفسه: ٩.
١١-م. نفسه: ٢٠.
١٢-م. نفسه: ٦-٧.
١٣-م. نفسه: ٣٠.
١٤-الرواية: ٣١.
١٥-ينظر: الشخصية الثانوية ودورها في المعيار الروائي عند نجيب محفوظ، ص ١٨.
١٦-الرواية: ٣١.
١٧-ينظر: مكونات السرد الفانتاستيكي: ٦٥.
١٨-الرواية: ٣٣.
١٩-م. نفسه: ٣٧.
٢٠-م. نفسه: ٣٨.
٢١-م. نفسه: ٤٥.
٢٢-م. نفسه: ٤٦.
٢٣-م. نفسه: ٤٧.
٢٤-ينظر: بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة: ٢٣٧.
٢٥-الرواية: ٤٨.
٢٦-ينظر: العجائبية في الرواية العربية المعاصرة، بهاء بن نوار، ١٢.
٢٧-الرواية: ٤٩.
٢٨-م. نفسه: ٩٤.
٢٩-م. نفسه: ٤١.
٣٠-م. نفسه: ٢٦.
٣١-م. نفسه: ٢٢.
٣٢-م. نفسه: ٦٣.
٣٣-م. نفسه: ٧٠.
٣٤-م. نفسه: ٧٥-٧٦.
٣٥-م. نفسه ٩٣.
٣٦-م. نفسه: ٩٣-٩٤.
٣٧-العجائبي في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية(نصف وجهي المحروق)، الياقوت بن سيدهم: ص١٣.
٣٨-الرواية: ٩٢.

المصادر والمراجع:

١- بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة: مصطفى مويقن، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥.

ISSN-2536-0027

٢- تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨،عبد المحسن طه بدر، دار المعارف- مصر، ط١، ١٩٧٧.
٣- رواية تطريز بخيط اسود
٤- الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ: سلامة محمد علي، مكتبة الاداب–القاهرة، ٢٠٠١.
٥- ٢- النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصرة: نضال الصالح، اتحاد الكتاب العرب، دمشق_ سوريا'، ٢٠٠١.
٦- فن القصة:محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٥٥.
٧- هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)،شعيب حليفي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥.

الرسائل والبحوث:

١- بناء الشخصية في رواية نجمة اغسطس لصنع الله ابراهيم: خليل بروينى، مجلة اضاءات نقدية، ع ٤، ٢٠١٤.
٢- الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان (قراءة في روايات رجاء عالم)، د. احمد جاسم الحسن، مجلة جامعة دمشق، م٢٥، ع ١، ٢٠٠٩.
٣- العجائبية في الرواية العربية المعاصرة مقاربة موضوعاتية تحليلية (اطروحة): بهاء بن نوار، كلية الاداب واللغات، جامعة الحاج لخضر- باتنة.
٤- مكونات السرد الفانتاستيكي: شعيب حليفي، القاهرة، مجلة فصول، ع١٢، ١٩٩٣.